

النحو العربي بين التعقيد والتيسير – نظرية تضافر القرائن النحوية لتمام حسان-

Arabic grammar between complexity and facilitation- the theory of syntactic evidence

synergy for tammam Hassan-

أميرة دريدي

جامعة سكيكدة a.dridi@univ-skikda.dz

تاريخ النشر: 2025/09/30

تاريخ القبول: 2025/03/05

تاريخ الاستلام: 2022/12/23

ملخص:

تعد مسألة تعقيد النحو العربي -والدعوة إلى تيسيره وتبسيط منهجه-، أحد القضايا اللغوية التي استنزفت أبحاث علماء الدرس اللغوي قديما وحديثا، نتيجة تعدد مدارسه وصعوبة تلقين قواعده: لتظهر محاولات منذ القديم تنادي بضرورة تجاوز عراقيله إلى التيسير، لتزداد هذه الدعوة إلحاحا مع الدراسات اللغوية واللسانية العربية الحديثة التي ندّدت بإعادة صياغته في قالب وصفي تفرضه طبيعة اللغة في ضوء المنهج اللساني الحديث، ممثلين عن سبل هذا التيسير بنظرية تضافر القرائن النحوية لتمام حسان نموذجا للدراسة، وانطلاقا من هذا فإننا نسعى من وراء هذا البحث بيان مكان القصور في النحو العربي القديم التي اختلفت دراسات النحاة في تحديدها والثورة عنها؛ وكذا اقتفاء فكرة تيسير النحو عند القدماء وصولا إلى الدرس اللساني الحديث "تمام حسان"، ونخص الحديث عن نظريته النحوية واقعها ومأمولها، ومدى نجاعتها في تبسيط قواعد النحو وتلقيها للمتعلمين، الذي نصبوا فيه إلى اكتشاف مدى انسجام تلك المقولات النظرية مع تطبيقاتها على نصوص من واقعنا اللغوي العربي

كلمات مفتاحية: النحو، التعقيد، التيسير، تضافر القرائن، نظرية العامل.

Abstract

the article). The issue of the complexity of Arabic grammar- and the call for its facilitation and simplification of its approach- is one of the linguistic issues that exhausted the research of linguistic scholars, past and present, as a result of the multiplicity of its school and difficulty of memorizing its rules. Attempts have appeared since ancient times calling for the necessity of overcoming its obstacles

to facilitation, starting with the preparation of abbreviation, Urgent with the modern Arabic linguistic and linguistic studies that denounced its reformulation in a descriptive template imposed by the nature of the language in the light of the modern linguistic approach, representing the ways of this facilitation with the theory of synergistic evidence of Tammam Hassan as a model for the study

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Keywords:. syntax, complexity, facilitation, combination of evidence, factor theory

المؤلف المرسل: أميرة دريدي ، الإيميل: a.dridi@univ-skikda.dz

1. مقدمة:

يعدّ القرآن الكريم الدافع الجوهرى للعرب في بدء الحركة اللغوية في شبه الجزيرة العربية، لما احتفت به آياته من نظمٍ بديعٍ مُحكمٍ النَّسيجِ، جعلَ علماء اللغة يتدبرونه، «والكشف عن كيفية صياغة مفرداته وطرائق بناء تراكيبه بذلك النسق الرفيع، سعيًا منهم لفهم مقاصده ومضامينه»¹.

ويعدّ النحو أحد هذه العلوم اللغوية؛ التي اتخذت القرآن الكريم منطلقاً أساسياً في نشأتها- بإرساء قواعد وقوانينه- حفاظاً عليه من اللحن والتحريف، الذي شهدته الملكة اللغوية جزاء اختلاط العرب بالأعاجم نتيجة الفتوحات الإسلامية، الأمر الذي جعل اللحن يتسربُ ألسنتهم، ويتفشى في بيئتهم؛ لينذر العلماء بضرورة الحرص على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً صحيحاً سليماً، تضبطه قواعد النحو وتحدّ من خطر

انتشاره، وكذا تصون اللغة العربية من الضياع والفساد، فعمدوا إلى تأليف الكتب والمدونات وكذا الشروح والتمتون.

وبتطور النحو العربي وكثرة المسائل النحوية، وتنوع العلل والتأويلات، أصبح النحو غاية في التعقيد، ولاستصعاب الناشئة من الدارسين² لهذا العلم، كان من الواجب تضافر الجهود لتبسيطه والبحث عن أيسر الطرق لجعله في متناول الدارس والباحث، وتعتبر نظرية تضافر القرائن النحوية لتمام حسان أبرز مثال على هذه المحاولات في تيسير النحو وتقويم منهجه،

لذا سنحاول من خلال هذه المداخلة المعنونة، النحو العربي بين التعقيد والتيسير- نظرية تضافر القرائن لتمام حسان أنموذجا-، بيان مشكلات النحو العربي التي استعصت على أهل اللغة تبسيطها، وكذا تتبّع دعوات تجديد النحو؛ بدءً من محاولات القدامى لتيسيره وصولاً إلى لجان العصر الحديث وآرائهم الإصلاحية، وقوفاً نظرية تضافر القرائن لتمام حسان نموذجاً تطبيقياً عن هذا التيسير في العصر الحديث، بتبيان أسسها ومبادئها مكلّلة ذلك بنماذج تمثيلية، و مدى مساهمة هذه النظرية في تيسير النحو بحسب آراء الباحثين والنقاد.

2. في النحو العربي

1.2 ماهية النحو:

أ- لغة: انحصرت الدلالة اللغوية لمادة (ن. ح.و) في المعاجم العربية حول معانٍ سبع عدّها ابن منظور: القصد والتحريف والمثل والمقدار والجهة أو الناحية والنوع أو القسم والبعض، قائلا: «النحو: إعراب الكلام العربي. والنحو: القصد، والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، نحاءً ينحوه، و ينحاء نحواً و انتحاء، ونحو العربية منه، وسمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب»³.

كما جمع أبو جعفر أحمد بن نصر الدراوي معاني النحو في بيت شعري، يقول فيه:

لنحو سبع معانٍ قد أتت جمعتها ضمن بيت مفرد كَمَلًا
قصْد ومثْل ومقدارٌ وناحية نوعٌ وبعضٌ وحرفٌ فاحفظ المثل⁴

ب- اصطلاحاً: فقد تعددت تعاريفه عند أهل الاختصاص، نذكر منها:

قول ابن جني في كتابه الخصائص في باب القول على النحو: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شد بعضهم عنها رُدَّ به إليها»⁵
والنحو عند ابن عصفور الأشبيلي: «علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أجزائه التي ائتلف منها»⁶.

نستنتج من تعريفات النحو اللغوية والاصطلاحية، بأنه علم يُعنى بالبحث في أواخر الكلمات إعراباً وبناءً، وهو علم دقيق ومحكم الأبعاد والقوانين، يحثنا على تتبع كلام العرب ومحركاتهم تفادياً للحن، فهم الموثقون بفصاحتهم زمانياً ومكانياً.

هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2.2 النحو العربي وإشكالية التعقيد:

مما هو معلوم أنّ النحو العربي ثمرّة من ثمرات الدراسات القرآنية، التي كانت سبباً في بؤادٍ ظهوره والدعوة لوضعه، فكان لتعدد المدارس والمذاهب النحوية مع اختلاف وجهات نظر علمائها، وتباين آرائهم -نظراً لاختلاف تخريجاتهم وتأويلاتهم- دافعاً

في تفشي أزمة صعوبته وتعقيد مادته، التي وجدَ فيها الباحثون وأحياناً أهل الاختصاص جفافاً وتجريداً، جعلها صعوبة المنال لمن أرادَ تحصيلها، فمن هنا جاءت دعواتُ ترومٍ إلى ضرورة تخليصه من تعسّف النحاة وكثرةِ عللهم، والصبغة الفلسفية والمنطقية التي ألصقت به، ومحاولة « الرقي به من مجرد كونه جملة من القواعد والقوانين الجافة إلى الأثر الفني والأدبي الذي تُحدثه القاعدةُ في النص أو حتّى الانزياح عنها ضمن ما كان يسمّى قديماً بالجوازات⁷».

ومن طريفٍ ما يُحكى عن التذمّر من مسائل النحو قصّة دُمَاث أبو غَسَّان، حين قرأ النحو ودرسه إلى أن توصّل إلى باب الواو والفاء من قول الخليل؛ أن ما بعدها ينتصب بإضمار أن، فتعسّر فهمه لها، ليكتب رسالة لأبي بكر المازني (والي البصرة) قصيدة، يعربُ فيها تعبهُ من قراءة النحو؛ قائلاً:

تفكّرتُ في النحو حتّى ملّلتُ	وأتعبتُ نفسي له والبدنُ
وأتعبتُ بكرّاً وأصحابه	بطول المسائل في كلّ فنّ
فكُنْتُ بظاهره عالماً	وكنْتُ بباطنه ذا فطنّ
خلا أن باباً عليه العفا	للفاء يا ليتَه لم يكنْ
وللواو بابٌ إلى جنبه	من المقت أحسّبه قد لعنْ
إذا قلتُ هاتوا لماذا يُقالُ	لستُ بآتيك أو تأتينْ
أجيئوا لما قيلَ هذا كذا	على النَّصبِ قيلَ لإضمار أنْ
فقدُ كدتُ يا بكرُ من طولِ ما	أفكّرُ في أمرٍ أنْ أنْ أجنْ ⁸

فهذه الأبيات تنجلي فيها تذمّر الشاعر من التقدير والعلل، التي يواجهها النحو العربي إلى يومنا.

2-1- أسباب صعوبة النحو العربي وتعقيده:

إنّ البحث عن الأسباب الكامنة وراء صعوبته وعسره على متعلمين كثيرة، فهناك من يحصرها في:

" الإسراف في التعليل، والاقتراض، والإسراف في الاصطلاحات، والإمعان في العمق العلمي، أمّا البعض الآخر فيردّها إل كثرة الشواذ، التي أدّت إلى تفرّع القواعد وتشعبها ممّا حال دونّ الإحاطة والإلمام بها؛ أي بالقياس عليها أدّى إلى ظهور قواعد أقلّ أهمية وأندر شيوع من غيرها"⁹، وهذا فيه إشارة إلى ما جعل قواعد اللغة متنوعة ومتشعبة يتعذر على متلقيها الإحاطة بها.

ومن الجوانب المستعصية في النحو العربي، والتي ثار عليها الباحثون وندّدوا بضرورة تيسيرها نجملها فيما يلي:

• **نظرية العامل:** في اللغة العربية هو المؤثر في غيره، والمعمول هو المتأثر بالعامل، والعامل هو الذي يؤثّر في أو نصب أو جزم الكلمة. ففكرة العامل «تقوم على أساس التعبير عن العلاقات بين أجزاء التركيب، والترابط الموجود بين عناصر كلّ جملة، ولهذا تتألّف الجملة من العامل والمعمول وعلاقة العمل الرابطة بينهما»¹⁰. فمن الدارسين من يرجعُ فكرة العامل النحويّ في الدرس العربي، أنّها مقتبسة من النحو السرياني، والعوامل نوعان: **معنوية ولفظية**؛ تنقسم بدورها إلى قياسية وسماعية.

ففكرة العامل استقرّت في الفكر النحوي العربي منذ سيبويه، وتطوّرت بخاصة مع الأجيال التي تلتها، "فتناولها أصحاب هذا الجيل بشيءٍ من الفلسفة، فخرج النحو عن طبيعته اللغوية البسيطة، وعن المنهج الوصفيّ الذي كان يستحسن أن يسير عليه"¹¹.

• **كثرة التقديرات:** وهي نتيجة التعسّف في نظرية العامل، بجعل سبب لكل حركة إعراب عامل لفظي أو معنوي، ولهذا لجأوا إلى التقدير في اختصاص أدوات الشرط بالدخول على الأفعال، فلو سألت مثلاً عن العامل في رفع كلمة الشمس في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾¹²، لكان الجواب العاملُ فعل مستتر تقديره كُوِّرَتْ فتصير الآية ﴿إِذَا كُوِّرَتْ الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

• **كثرة العلل والتعليل:** تعدّ العلة الركن الرابع من أركان القياس، وهي أنواع تختلف باختلاف النحويين، منها: العلل الأولى (تعليمية)، والثواني (قياسية)، والثالث (الجدلية)، حتى توغلوا وأسرفوا فيها كعلة العلة، والعلة الخيالية.

• **القياس:** هو حمل أصل على فرع لعلة مشتركة فيما بينهما، أركانه أربعة: المقيس عليه (الأصل)، المقيس (الفرع)، العلة الجامعة، الحكم.

• **تداخل المصطلحات وتعددتها للمفهوم الواحد:** الذي أدّى إلى الاضطراب وتشويش المتعلّم بكثرتها والتباسها التي تتقارب دلالتها اللغوية للمفهوم الواحد، مثال: عند الكوفيين مصطلحات (الترجمة، التبيين، التكرير، المردود) كلها مقابلة لما سمّاه البصريين بالبدل، وسيبويه بعطف البيان.

• **أسلوب المادّة النحوية ومنهجها:** ذكر الدّارسون بوجود منهجين في دراسة النحو العربي، فالكوفيون حاولوا إخضاع كل كلام العرب للدراسة النحوية، فقبلوا الشاذ منه، بيد أنّ البصريين اهتمّوا بالفصيح منه فقط، واشترطوا اتّساع روايته، أمّا الشاذ فحفظوه دون القياس عليه، كما لم يعتدّوا بالضرورة الشعرية لتبقى هذه الأخيرة حبيسة ذلك البيت الشعري.

أضف إلى ذلك اقتصار الدّرس النحويّ في بدايته على لغة القبائل الست: قيس، تميم، هذيل، أسد، بعض كنانة، بعض الطائيين، لاستخراج قواعد النحو من لغاتهم،

لكن النحويين المتأخرين اعتمدوا قبائل أخرى لاستخراج قواعد نحوية جديدة مغايرة لسابقيهم.

ويضاف إلى كلّ هذا، مجموعة من الأسباب منها: الاهتمام الكبير بالعلامة الإعرابية (لأنّها دالة على المعنى حسب موقع الكلمة من الجملة)، اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة، عدم وضع تعريف وتحديد دقيق للمصطلحات النحوية، "الاقتصار في تحليل المادّة على المكتوب دون المنطوق، فصل النحو عن البلاغة"¹³.

3-2 . النحو العربي والدعوة إلى التيسير:

قبل الحديث عن محاولات تيسير النحو، من الواجب أن نتحدّث عن مصطلح التيسير الذي يتداخل ومصطلحات أخرى، منها:

- الإحياء: اشتهر به مصطفى إبراهيم في كتابه: «إحياء النحو».
- الإصلاح: وردَ في أعمال وزارة المعارف المصرية، وأطلقه عبد الوارث المبروك في مؤلفه: "في إصلاح النحو العربي"، الذي يقصدُ منه تخليصَ النحو العربي من الشوائب والاختلالات، التي أسهمت في وصفه بالصعوبة.
- التجديد: ظهر هذا المصطلح بوضوح مع مهدي المخزومي، في كتابه: «في النحو العربي نقد وتوجيه»، "في النحو العربي قواعد وتطبيق"، إذ اتخذَ مصطلح التجديد عنده سبيلين هما:
 - التجديد التراثي: من خلال هدم نظرية العامل النحوي التي طغت عليه، وألجمته بلجام الفلسفة والمنطق.
 - التجديد الموضوعي: تجسّد من خلال ضمّ المخزومي علم المعاني إلى علم النحو، ومصطلح التجديد حسب ارتبط بالإحلال والاستبدال؛ إبدال نظرية القرائن بفكرة العامل وإحلالها محلّها.

• أمّا مصطلح التيسير فقد نالَ الحظ الأكثر في الشهرة والذيع، فاقت هذه المصطلحات؛ إذ يُعنى به كيفية تعليم النحو-لا بالنحو في حدّ ذاته تغييرا وحذفًا-، وقد أبانَ المخزومي عن ماهيته قائلا: «التيسيرُ ليس اختصارا ولا حذفًا للشروح والتعليقات، ولكنّه عرضٌ جديدٌ لموضوعاتِ النحو يُيسّرُ للنّاشئين أخذها واستيعابها وتمثّلها»¹⁴.

كما يعرفه شوقي ضيف في مؤلفه قائلا أنّه: «إعادة تنسيق أبواب النحو وإلغاء بعضها، ووضع تعريفاتٍ دقيقة لأبوابه العسيرة أساسَ التيسير»¹⁵.

2-3-1. إسهامات القدامى في تيسير النحو العربي:

لقد أدركَ النحويون القدامى صعوبة النحو على المتعلمين؛ فعمدوا لأجل تيسيره إلى أساليب مختلفة:

• أولها: تأليفُ الكتب المختصرة والحواشي والمنظومات والمتون، لكنّها لم تخرج عن نطاقِ الشرح والاختصار والتقريب، وهكذا خلت مؤلّفاتهم من التفصيل والتفسير وكثرة الاستشهاد، ونذكر ما أورده ابن خلدون في مقدّمته قائلا في هذا الصدد: «وجاء المتأخرون بمذهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعل ابن مالك في كتابه التسهيل...، وبالجملّة التأليف في هذا الفن أكثر من أن يحصى أو يحيط بها، وطرق التعليم مختلفة»¹⁶ ومن أمثلة ذلك بحسب الترتيب الزمني: مقدّمة في النحو لخلف الأحمر (ت180هـ)، كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النّحاس (ت337هـ)، كتاب الواضح للزبيدي (ت379هـ)، اللّمع في العربية لابن جني (ت392هـ)، العوامل المائة لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وأخيرا قطر الندى وبلّ الصدى لأبي هشام الأنصاري (ت761هـ).

ومن أمثلة الشروح: الكتاب لسيبويه؛ الذي تعرّض عددٌ من العلماء لشرحه: كابن عصفور، وابن الضائع، وابن خروف، والأعلم الشنتمري... وغيرهم. وكتاب الجمل للزجاجي؛ الذي قام بشرحه كل من: ابن سيّده، والأعلم الشنتمري، وابن السيّد البطليوسي... إلخ.

• **ثانها:** أنّ هناك من النحويين القدامى-من كانت لهم آراءٌ نحويةٌ مبثوثة في الكتب،

تدعوا إلى تبسيط النحو وتيسيره على المتعلمين، نذكر أربعة منهم:

أبو عباس بن ولّاد المصري(ت332هـ): يعدّ أوّل من انتقد النّحو نقدا علميّا، مقدّما اقتراحات لتسييره منها: الوقوف على المسموع كما ورد عن العرب دون إخضاعه إلى قواعد القياس، رفضه التأويل وتقدير المحذوفات في الجمل النحوية لأنها حسبّه غلوٌ وحشوٌ يعقّد الإعراب أكثر ممّا يفسّره.

ابن حزم الأندلسي(ت384هـ): دعا إلى الأخذ من النّحو ما يُبلّغ به الهدف وما زاد عن ذلك غلوٌ ومضاعاةٌ للوقت، كما هاجم العلّة ورفضها بشدّة واعتبرها فاسدةً لا يستندُ فيها إلى الحقيقة شيءٌ.

ابن جني(ت392هـ): رفض قضية العامل النحوي عند سيبويه وبعض من العلماء الآخرين، لكنّه لم ينكر وجود عامل في اللغة وهو عنده المتكلّم نفسه (فهو العامل في رفع ونصب وجرّ وأخر الكلمات في الجمل، بحسب إرادته في الحكم على اللفظ بالرفع أو النصب)، لكنّه في تطبيقاته أخذ بفكرة العامل النحويّ المعهود.

ابن مضاء القرطبي(ت592هـ): قام أيضا بإلغاء العامل النحويّ، وعقد فصلا في كتابه "الردّ على النحاة" للحديث عن ذلك مخالفا فيه النحويين القدامى وابن جني؛ فحسب رأيه العامل في الرفع والنصب والجرّ هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يكتبُ لنا القولَ سواءً بالرفع أو النصب أو الجرّ. وعلاوة على ذلك دعا إلى إلغاء العلل

الثواني والثوالت -القياسية والجدلية-، كما ألغى القياس ومنع التقديرات والتأويل في العبارات.

2-3-2- تيسير النحو العربي عند المحدثين:

وعلى غرار النحويين القدامى حاول الدارسون المحدثون تأليف كتبٍ ميسرةٍ في النحو نذكر منها: كتاب التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية لرفاعة الطهطاوي، كتاب جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، النحو الواضح لمصطفى الأمين وعلي الجارم، التطبيق النحوي لعبدوا الراجحي، النحو الوافي لحسن عباس.

ومن الدعوات التي أفرَدَ مؤلفوها كتباً تستقل بموضوع تجديد النحو العرب وتطويره:

- 1- "مصطفى إبراهيم: في كتابه "إحياء النحو" سنة 1937، الذي بناه أيضاً على رفضه لفكرة العامل في اللغة والتوسّع في الإعراب التقديري، إذ يرى أنّ علامات الإعراب يجب دراستها على أنّها دوال للمعاني كأن يقال: أنّ الحركات ذات معانٍ محدّدة أنّ الضمة علم الإسناد ودليلٌ على أنّ الكلمة مرفوعة، يُراد أن يسند إليها ويتحدّث عنها، والكسرة علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة.
- 2- شوقي ضيف: يعدّ من أكبر المهتمين بتيسير النحو العربي تنظيراً وتطبيقاً، في كتابه "تجديد النحو 1982" الذي أيّد فيه آراء ابن مضّاء، داعياً فيه إلى تبني رؤيته في تيسير النحو "كإعادة تنسيق أبواب النحو، وإلغاء الإعراب التقديري والمحلي، وإلغاء العامل والقياس والعلل-الثواني والثوالت-، ليكون بذلك أوّل من حقق كتابه (الرد على النحاة)، ونشره لأول مرة سنة 1947"¹⁷.

3- مهدي المخزومي: في كتابه "في النحو العربي نقد وتوجيه سنة 1964" من دعوات إصلاحه في الدّرس النحوي: تخليصه من شوائب الفلسفة والمنطق التي حملتها أبوابه عامّة والتصقت بفكرة العامل خاصة، وتجديد الدرس النحوي من خلال إصلاح موضوعاته، وجعلها تتناسب مع قدرات الناشئة والدارسين حتى يسهل تلقّيها واستيعابها¹⁸، موضحاً بعدها مقصوده بمصطلح التيسير قائلاً: «فالتيسير إذن ليس اختصاراً، ولا حذفاً للشروح والتعليقات ولكّنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها، ولن يكون التيسير وافياً بهذا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته»¹⁹.

4- تَمَام حسان (1918م-2011م): من رواد البحث اللساني المعاصر الذين خبزوا التراث وحاولوا تجديده من خلال قراءة النحو من منظور علم اللغة الحديث، في كتابيه "العربية بين المعيارية والوصفية 1988"، و"اللغة العربية معناها ومبناها 1973"، الذي يؤيّد فيهما رأي ابن مضاء في رفضه للعامل ولا وجود له في اللغة، متّبعا المنهج الوصفي في دراسته للغة في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، وأنّ التعليق هو مناط الدرس النحوي ولبّته، ففهمه كافٍ للقضاء على خرافة النحو والعوامل النحوية، محدّدا إتياء بواسطة تضافر مجموعة من القرائن لتفسير العلاقات بين التراكيب، وهي أجراً محاولة للتجديد في النحو العربي.

وهذه النظرية -تضافر القرائن- هي مدار هذه الدّراسة، التي سنعرض من خلالها أهمّ

ما قنّ له تَمَام حسان في تيسيره للدرس النحوي في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها

3. نظرية تضافر القرائن:

1.3 نظرية تضافر القرائن الرؤية والتطبيق:

لقد عدّ تَمَام حسان صعوبة النحو العربي مناطها اعتماده على نظرية العامل،

الذي اهتدى إلى هدمها لأجل تيسيره وتبسيط مادّته ليتيح لنفسه ضرورة الإتيان ببدلٍ

عنها، تَمَثَّل في هذه النظرية التي رأى فيها: «بديلاً لا تصمُدُ أمامه نظرية العامل»²⁰ ، وقد تعرض لها في كتابه "اللغة العربية مبناها ومعناها" بصور مكتملة، معتبراً إيّاها جهداً تيسيرياً قائلاً: «وقد اهتديتُ في هذا الكتابِ إلى أفكارٍ نافعةٍ في فهم النحو العربي وتيسيره وتفسير ما أحبّ النحاة وأوغلوا في الخلافِ حوله»²¹.

ومن أبرز أفكاره الدّالة على رؤيته التيسيرية:

- أولى اهتماماً كبيراً بالمعنى، وقامَ بتقسيمه إلى ثلاثة أنواعٍ: معجمي، ووظيفي، ومقامي

فالمعنى معجمي: يقصد به المعنى المستخلص من الكلمات المفردة.

والمعنى الوظيفي: هو تلك المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية.

أمّا المعنى المقامي (الدلالي): فيتجسّد من خلال إضافة السياق إلى المعنيين المعجمي والوظيفي.

إذ تتشكّل باتّحاد المعنيين المعجمي والوظيفي المعاني المقامية، كما يرى أنّه بانتظام المعنى الوظيفي يمكن إعراب الجملة بغضّ النظر عن فهم معنى كلماتها المعجمي، لاعتبارٍ منه أنّ المعنى الوظيفي هو المسوّغ لنجاح عملية التعليق (علاقة الإسناد)، مكلّلاً هذا الرأي بنصوصٍ هرائيةٍ تتكوّن من حروف عربية منسوجةٍ وفق الصيغ الصرفية والتراكيب اللغوية بيد أنّ كلماتها تفتقر للمعنى المعجمي، نذكرُ منها نصّ البيت الشعري الخرافي:

قاصّ التجينُ شحالهُ بتريسه الـ فاخي فلم يستف بطاسية البرن²²

وبحسب وجهة نظره، يمكننا إعراب هذا البيت الشعري بالاهتمام بالمعنى الوظيفي للكلمات، دون الالتفات إلى المعنى المعجمي والمعنى السياقي، فمثلاً لو أردنا إعراب جملة: "ضربَ زيدٌ عمراً" «لوجدنا أنّ (ضرب) جاءت على صيغة (فَعَلَ) التي تدلّ على الفعل

الماضي، ومن هنا نبادرُ إلى القولِ بأنَّ "ضرب فعل ماضٍ" ثمَّ ننظر بعد ذلك في زيد فنلاحظ ما يأتي:

أنَّه ينتهي إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة).

أنَّه مرفوع (قرينة العلامة الإعرابية).

أنَّ العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة إسناد (قرينة التعليق).

أنَّه ينتهي إلى رتبة التأخر (قرينة الرتبة)

أنَّ تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة).

أنَّ الفعل معه مبنيّ للمعلوم (قرينة الصيغة).

أنَّ الفعل معه مسندٌ إلى المفرد الغائب (قرينة المطابقة).

وبتآزر هذه القرائن نصل إلى أنَّ زيد هو "الفاعل"²³، ويكمل على نفس المنوال إعرابه عمرا.

أما بالنسبة للبيت الشعري، فيرى أنه "لو تساهلنا قليلا من التمسك بالمعنى المعجمي، وكوَّنا نسقا نطقيا من بناء عربي لا معنى له، لأمكننا إعرابه استنادا إلى المعطيات الآتية:

- الحفاظ على أن يكون بناء هذا النسق من حروف عربية.
- المحافظة على ظاهرة الإدغام-عند تقارب هذه الحروف-على الطريقة العربية.
- المحافظة على المباني الصرفية العربية-مباني التصريف والتقسيم والقرائن-، وتقليدها.

- المحافظة على مظهر العلاقات النحوية.

غير أنَّنا بالمحافظة على كلِّ هذا فإننا نتجاهل:

- الاعتبارات المعجمية، بأن نجعل بناء التركيب محقق بألفاظ هرائية لا معنى لها في المعجم.

- وهذا فإنّ النسق النطقي الذي كوّناه لا يعدّ جملة عربية بأية صورة من صورها²⁴.

واعتمادا على هذه الشروط استطاع إعراب هذا البيت، قائلا: «قد تحققت تماما في هذا النسق النطقي [كل الأشرط التي حدّناها] فحين تحقق له ما وصفنا أصبع من الممكن أن نعرب النص بنجاح تام فنقول: **قاصّ**: فعل ماضي مبني على الفتح، **التجينُ**: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، **شِحالَه**: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. والهاء؛ مضاف إليه مبني على الضم في محل جر، **بتريسه**: الباء؛ حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب. تريس؛ اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة. والهاء؛ مضاف إليه في محل جر، **الفاخي**: نعت- تريس- مجرور وعلامة جره الكسرة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثقل، **فلم**: الفاء؛ حرف عطف لا محل له من الإعراب، **يستف**: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون والفاعل مستتر تقديره (هو)، **بطاسية**: الباء؛ حرف جـ لا محل له من الإعراب. طاسية؛ مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة، **البرن**: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الروى²⁵، وهذا البيت ينتهي إلى البحر الكامل فهو مستوف حتى للمطالب الشكلية من الناحية العروضية.

ف نجد من عاب عليه هذا الإعراب قائلا في ذلك: «أنّه لم يعرب إلّا على أساس من الظن، فقد وقع المعرب في شيء من التناقض عندما أعرب ألفاظا لا معنى لها، لأنّه بذلك يظن أنّ لها معان معجمية، وإلا فكيف مثلا أنّ (قاصّ) فعل ماضي، ونحن نعلم أنّ الفعل يدلّ على حدثٍ وزمن»²⁶.

• والقرائن النحوية عنده قسمين:

قرائنٌ مقالية: تنقسم بدورها إلى قسمين **لفظية** وأخرى **معنوية**، وهما مناط التعليق.

اللفظية: تتضمن ثمانية قرائن؛ الإعراب، والرتبة، الصيغة، المطابقة، والربط، والتضام، والأداة، التنعيم.

أما المعنوية: فهي تنقسم إلى خمس؛ الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، وأخيراً المخالفة.

وقرائن حالية: تعرف من المقام

رفضه التعليل، وعدّه شائبة- أو على حد تعبيره بلية- فلسفية ميثافيزيقية ابتلى بها النحو العربي ولا زال يُبتلى، داعياً كذلك إلى إلغاء الإعرابين التقديرى والمحلى، وأنّ مبدأ التضافر في القرائن كافياً للقضاء على هذه المفاهيم التي وسّمت درس النحو بالتعقيد.

2.3 نقد لأراء تمام حسان:

تعرض تمام حسان كغيره من المحاولات التجديدية لنقدٍ قويّ، من قبل المعارضين المتعصبين لقداسة النحو العربي القديم:

1- كيف لنا أن نعرب الجمل بالاعتماد على المعنى الوظيفي فقط، فلو سلمنا بهذا الطرح لوقعنا في فوضى اللغة و اللامعنى، الذي يناهى وظيفة اللغة الرئيسية "الفهم و الإفهام في التواصل"، كما يكسر هذا الطرح علاقة الانسجام بين الألفاظ والمعنى داخل التراكيب الإسنادية.

2- التعامل مع القرائن لا ينفكّ عنه اللجوء إلى المعاني المعجمية للوقوف على حقيقة كلّ قرينة؛ أي معرفتنا لعلاقة الإسناد بين الفعل والفاعل، تتأتّى من خلال إدراكنا للمعنى المعجمي لكلّ منهما.

3- إذا قارنا نظرية العامل والعلامات الإعرابية في التحليل الإعرابي ونجد نظرية العامل بمثابة العوبة بالنسبة لتضافر القرائن، خاصة أنّ هذه الأخيرة تلزم الطالب المرور بعدّة قرائن للوصول وتحديد المحل الإعرابي للكلمة الواحدة.²⁷

4- خاتمة:

ونخلص ممّا تقدّم عرضه في هذه المداخلة أنّه:

- على الرغم ممّا أُلّف من مصتّفاتٍ تسعى لإصلاح النحو وتيسيره قديما وحديثا، وما أُلّف لجان العصر الحديث إلّا أنّ مشكلة صعوبته وجفافه لا زالت قائمة إلى يومنا هذا، ومردّ ذلك لأسباب دعت بضرورة تجديده، غير أنّ الملاحظ يجد هذه الدعوات لم تخرج عن فكرة ابن مضاء، في إلغاء العامل والإعراب التقديري مع تغييرات تكاد تكون معدومة.
- رغم توالي هذه المحاولات الإصلاحية للنحو قديما وحديثا، غير أنّ هذه الدّعوات والصيحات لم تصل إلى ما طمحوا إليه من أهداف، لمرامٍ مردّه - حسب البعض- إلى الفرق الشاسع بين مستوى لغتهم العربية ومستوانا نحن.
- التعلّم الصحيح للسان العربي، لا يكون بمجرد تعلّم مجموعة من المفردات، ومجموعة من قواعد النحو العربي، بل يعتمد على ممارسة اللغة وتكرير جملها ومحاولة ممارستها في الواقع قدر المستطاع، كي يتمكّن منها.
- تعدّ نظرية تضافر القرائن النحوية لتمام حسّان بديلا عن فكرة العامل النحوي وتقويضها لها، استنادا لما أقرّه عن فكرة العامل النحوي بأنّها خرافة وخدعة امتاز بها نحاة العرب على مرّ العصور.
- من غير الممكن بل استحالة إعراب أي تركيب إسنادي دون الاهتمام بالدلالة المعجمية، التي تفتنّ إليها النحاة القدامى، إذ لا نستطيع إعراب الألفاظ إعرابا سليما يستند على العلامة الإعرابية فقط، أو موقع الكلمة في التركيب- رتبة-، ونغفل عن المعنى الذي تدلّ عليه.

5. الإحالات:

- ¹- الخالدي كريم حسين ناصر: نظرية المعنى في الدّراسات النحوية، دارصفاء، عمّان، 2006م، ص: 6.
- ²- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دارصادر، ط4، بيروت، مادة (نحا)
- ³- الخضري، محمّد بن مصطفى: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دارالفكر، ج1، ص: 10.
- ⁴- ابن جيّ، عثمان: كتاب الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دارالكتب العلمية، ج1، بيروت، ص: 34.
- ⁵- السيوطي، جلال الدين: الاقتراح، ضبط وتعليق: محمّد عطية، دار البيروتي، ط2، دمشق، 2008، ص: 24.
- ⁶- بلعجين، سفيان: الدعوة إلى تيسير النحو العربي -البواعث والمنطلقات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن عشر، 2018، ص: 3.
- ⁷- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبارُ النحويين والبصريين، تح: طه الزيني ومحمّد خفاجي، مكتبة مصطفى الباني، ط1، مصر، 1955، ص: 15.
- ⁸- ينظر: كامل الناقفة، محمّد ويونس فتحي: أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة، 1977م، ص: 299.
- ⁹- هبال، خير الدين: النزعة العلمية العقلية في التأصيل النحوي عند نحاة البصرة، المركز الجامعي ميلة، ص: 12.
- ¹⁰- بلعيد صالح: في أصول النحو العربي، دارهومة، الجزائر، 2005م، ص: 38.
- ¹¹- سورة التكويد، الآية: 1.
- ¹²- بلعيد، صالح: في قضايا فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 191.
- ¹³- . المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، 1987، ص:
- ¹⁴- شوقي، ضيف: تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، 1993م، ص:
- ¹⁵- بلعجين، سفيان: الدعوة إلى تيسير النحو العربي- البواعث والمنطلقات، ص6.
- ¹⁶- عبد الوارث مبروك: في إصلاح النحو العربي، نقلا عن: خلود عياشي وكيجل زهرة: المجامع اللغوية العربية ومجهوداتها في تيسير تعليمية النحو العربي، (مذكرة ماجستير)، جامعة سكيكدة، 2022م، ص: 69- 70.
- ¹⁷- المرجع نفسه، ص: 61- 65.
- ¹⁸- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 15- 16.
- ¹⁹- بركات مبروك: تيسير النحو عند تَمّام حسان بين الرؤيتين التخصصية والتعليمية، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، العدد السابع، جامعة تلمسان، ماي 2015، ص: 6.
- ²⁰- حسان تمام: مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتاب، مصر، ط1، 2006، ج1، ص: 79.
- ²¹- حسان تَمّام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994م، ص: 183.
- ²²- المرجع نفسه، ص: 181.
- ²³- المرجع نفسه، ص: 182- 183.
- ²⁴- تَمّام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها، ص: 183- 184.
- ²⁵- وليد عاطف الأنصاري: نظرية العامل في النحو العربي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط2، 2006م، ص: 151.
- ²⁶- بلملود، جيهان: الملكة اللغوية والدلالة في تيسير تعليمية النحو العربي، مجلة المعيار، سكيكدة، العدد الرابع، م: 26، 2022، ص: 10.

6- المراجع:

- القرآن الكريم.

- 1 الخالدي كريم حسين ناصر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دارصفاء، عمان، 2006م،
- 2 ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دارصادر، ط4، بيروت، مادة (نحا)
- 3 الخضري، محمد بن مصطفى: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، ج1،
- 4 ابن جني، عثمان: كتاب الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دارالكتب العلمية، ج1، بيروت،
- 5 السيوطي، جلال الدين: الاقتراح، ضبط وتعليق: محمد عطية، دارالبيروت، ط2، دمشق، 2008،
- 6 - بلعجين، سفيان: الدعوة إلى تيسير النحو العربي -البواعث والمنطلقات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن عشر، 2018،
- 7- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين والبصريين، تح: طه الزيني ومحمد خفاجي، مكتبة مصطفى الباني، ط1، مصر، 1955،
- 8 - كامل الناقبة، محمد ويونس فتحي: أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة، 1977م،
- 9 - هبال، خير الدين: النزعة العلمية العقلية في التأصيل النحوي عند نحا البصرة، المركز الجامعي ميلة،
- 10 - بلعيد صالح: في أصول النحو العربي، دارهومة، الجزائر، 2005م،
- 11 - بلعيد، صالح: في قضايا فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص: 191
- 12 - . المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، 1987،
- 13 شوقي، ضيف: تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، 1993م،
- 14 عبد الوارث مبروك: في إصلاح النحو العربي، نقلا عن: خلود عياشي وكحلل زهرة: المجامع اللغوية العربية ومجهوداتها في تيسير تعليمية النحو العربي، (مذكرة ماجستير)، جامعة سكيكدة، 2022م،
- 15 - بركات مبروك: تيسير النحو عند تمام حسان بين الرؤيتين التخصصية والتعليمية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد السابع، جامعة تمنراست، ماي 2015،
- 16 - حسان تمام: مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتاب، مصر، ط1، 2006، ج1.
- 17 - حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994م،
- 18- وليد عاطف الأنصاري: نظرية العامل في النحو العربي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط:2، 2006م، ص:151.

- 19- بلمولود، جهان: الملكة اللغوية والدلالة في تيسير تعليمية النحو العربي، مجلة المعيار، سكيكدة، العدد الرابع، م: 26، 2022،